جماليات الخط العربي في فنون الطباعة

■ أ. سارة مفتاح عبد السميع الزني *

ملخص البحث:

يعد الخط العربي من أهم العناصر التراثية في الفن الإسلامي نظرا لخصائصه التي تتيح التعبير عن قيم جمالية تجعله متميز بين الأعمال الفنية الأخرى، ومما لاشك فيه أن الثقافات المختلفة عبر العصور قد ارتبطت بعوامل اجتماعية ودينية معينة، فتختلف الجماعات البشرية باختلاف ثقافاتها ومن هنا فإن للخط العربي علاقة أساسية بالفن مهما اختلفت عناصره وأشكاله، لذلك تطرح الباحثة عدة تساؤلات أهمها هل يمكن الاستفادة من استخدام الخط العربي في تقنية الطباعة الفنية للحصول على قيمة جمالية لفنون الطباعة حيث يهدف البحث إلى إبراز المفاهيم والقيم التشكيلة والجمالية للخط العربي و إلقاء الضوء على ارتباط الخط العربي بفنون الطباعة الفنية حيث تتوفر فيه المقومات التشكيلية والقيم الجمالية التي تساعد في تعدد أساليب الطباعة لدى الفنانين.

المقدمة..

يتمتع الخط العربي بإمكانيات تشكيلية لا نهائية، فحروفه مطاوعة للعقل وله أبعد في الحدود لما تتميز به من المد والقصر والاتكاء والأرداف والإرسال والقطع والرجوع والجمع مما لا يتوفر في أي من الخطوط في اللغات الأخرى.

وهو الفن الذي يجمع بين الليونة والصلابة في تناغم مذهل، وتتجلى فيه قوة القلم وجودة المداد المستمدة من النفحات الروحانية التي تهيمن على الفنان المبدع في لحظة إبداع فلسفي لا تكرر نفسها. فمن ساحة الفكر المخزون يقفز نص جذاب أو حكمة مأثورة

*عضو هيئة التدريس بكلية الفنون والعمارة جامعة عمر المختار - درنة

أو آية قرآنية كريمة يرافقه تخيل مبدئي لنوع الخط الذي ينبغي أن يكتب به، ومع إعمال الفكر وحث القريحة تبدأ ملامح التكوين الخطي تظهر رويداً رويداً للروح، ثم للعين، ثم تنفذ اليد الإبداع الحقيقي[1].

وتمتاز الحروف العربية بأنها تكتب متصلة أكثر الأحيان، وهذا يعطي للحروف إمكانيات تشكيلية كبيرة، دون أن تخرج عن هيكلها الأساسي.ولذلك كانت عملية الوصل بين الحروف المتجاورة ذات قيمة مهمة في إعطاء الكتابة العربية جمالية من نوع خاص، من حيث تراصف الحروف وتراكبها وتلاحقها.[2]

كما أن المدات بين الأحرف والتي يمكن التكيف في بعض الحروف مثل:(ب، ن، ق، س، ش) وغيرها تساعد على إعطاء الكتابة العربية تناسقاً ورشاقة عندما تكون هذه المدات متقنة وفي مواضعها الصحيحة. ويمكن أن نلاحظ أن طريقة الوصل بين الحروف تختلف من نوع إلى آخر من أنواع الخط العربي، كما في الديواني والنسخي والكوفي والفارسي، وهذا الاختلاف ناتج عن الأسس المتبعة في كتابة كل خط من هذه الخطوط، إذ نجد الزوايا والخطوط المستقيمة سائدة في أنواع الخط الكوفي، ونجد الأقواس والزوايا في كل من النسخي والثلث، بينما تكون الأقواس الرشيقة والمدات الانسيابية سائدة في الخط الديواني.

كل ذلك يعطي للكتابة العربية تفرداً في جمالها بين الكتابات العالمية وهذا ما جعلها تدخل في صميم الفنون التشكيلية قديماً وحديثاً.

وقد انبرى المستشرق ((ريتر)) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة إستانبول في العهدين العثماني والكمالي يدافع عن الكتابة العربية وأخذ يسفه رأي من استبدل الحروف اللاتينية بها، فقد روى بقوله:" إن اللغة العربية أسهل لغات العالم وأوضحها، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح. إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أمليه عليهم من اضرات بالحروف العربية، وبالسرعة التي اعتادوا عليها ـ لأن الكتابة العربية مختزلة من نفسها ـ أما اليوم فإن الطلاب يكتبون ما أمليه عليهم بالحروف اللاتينية، ولذلك فهم لا يفتأون يطلبون إلى أن أعيد على مسامعهم العبارات مراراً، إنهم معذورون ولا شك في ما يطلبون، لأن الكتابة اللاتينية معقدة) لا اختزال فيها، والكتابة العربية واضحة كل الوضوح، فإذا ما فتحت أي خطاب فلن تجد صعوبة في قراءة أردأ خط به، وهذه هي طبيعة الكتابة العربية التي تتسم بالسهولة والوضوح». ويقول المستشرق((باريت)) وإن الخطاط ليتحكم في الأحرف

التي يكتبها تماماً كما يتحكم الموسيقى في أحاسيسه وهو يصوغ نغماً بذاته)) هذا من الناحية ألاختزالية[3]، أما من الناحية الجمالية فهناك إجماع على تفوق الخط العربي واحتلاله مركز الصدارة بين خطوط العالم، ويروي لنا التاريخ أن الخليفة العباسي الواثق بالله أنفذ ابن الترجمان بهدايا إلى ملك الروم فرآهم قد علقوا على باب كنيستهم كتباً بالعربية فسأل عنها فقيل له: هذه كتب المأمون بخط أحمد بن أبي خلد وقد استحسنوا صورتها فعلقوها.

وذكر الصولي في كتابه "أدب الكاتب" أن سليمان بن وهب كتب كتاباً إلى ملك الروم في أيام الخليفة العباسي المعتمد فقال ملك الروم: "ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل، وما أحسدُهم على شيء حسدي على جمال حروفهم"، وكان ملك الروم لا يقرأ الخط العربي وإنما راقه باعتداله وهندسته.

ويقول الخليفة العباسي المأمون:" لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط، يقرأ في كل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد في كل زمان». إن الحروف العربية قد خدمها علماء العرب المسلمين خدمة جليلة بحيث لا يتطرق إليها خلل، ولا يطرأ عليها تغيير، فعلماء القراءات الأجلاء لم يكتفوا بقراءة القرآن الكريم الذي هو بلسان عربي بمجرد النظر إلى صور الحروف التي هي عربية أيضاً، وإنما وضعوا لقراءتها قواعد تحفظ اللسان من الخطأ في نطق الحروف وألقابها وصفاتها وما يفخم منها، وما يرقق، وما يدغم. وما أحسن وأدق قول العالم العربي الكندي:" لا أعلم كتابة تحتمل من تحليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربية، ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من ألكتابات.[4]

مشكلة البحث:

– هل يمكن الاستفادة من استخدام الخط العربي في تقنية الطباعة الفنية للحصول على قيمة جمالية لفنون الطباعة.

– كيفية إبراز جماليات الخط العربي عبر العصور ومدى تأثير على فنانين الطباعة الفنية.

أهمية البحث :

_ توضح أهمية العلاقة بين الخطوط العربية والعمل الفني المطبوع.

_ دراسة مدى أهمية القيم الجمالية والتشكيلية للخط العربي وارتباطاته التعبيرية

في العمل الفني المطبوع.

أهداف البحث:

- يهدف البحث إلى إبراز المفاهيم والقيم التشكيلة والجمالية للخط العربي.
- الكشف عن أساليب تحقيق القيم الجمالية للخط العربي.
- دراسة انواع الخطوط العربية وتأثيرها على فنون الطباعة .

فروض البحث:

يفترض الباحث عدة تساؤلات على النحو التالي:

_ وجود علاقة أساسية تربط بين الخط العربي والتكوين بوصفهما قيمتين وعنصرين هامين في العمل الفني المطبوع.

_ أثر التقنيات الحديثة والمفاهيم التكنولوجية فى استخدام الخطوط له دوره الهام تشكيلياً في العمل الفني المطبوع.

- هناك علاقة توضح إمكانية استخدام الخط العربي والاستفادة منه كقيمة فنية وتشكيلية في فنون الطباعة.

الإطار النظري للدراسة

الخط العربي وعلاقته بالعمل الفنى المطبوع

الخط العربي:

هو فن وتصميم الكتابة في مختلف اللغات التي تستعمل الحروف العربية. تتميز الكتابة العربية بكونها متصلة مما يجعلها قابلة لاكتساب أشكال هندسية مختلفة من خلال المد والرجع والاستدارة والتشابك والتداخل والتركيب.

و يقترن فن الخط بالزخرفة العربية» أرابيسك «حيث يستعمل لتزيين المساجد والقصور كما أنه يستعمل في تحلية المخطوطات والكتب وخاصة لنسخ القرآن الكريم. وقد شهد هذا المجال إقبالا من الفنانين المسلمين بسبب نهي الشريعة عن رسم البشر والحيوان خاصة في ما يتصل بالأماكن المقدسة والمصاحف.

يعتمد الخط العربي جماليا على قواعد خاصة تنطلق من التناسب بين الخط والنقطة والدائرة، وتُستخدم في أدائه فنيا العناصر نفسها التي تعتمدها الفنون التشكيلية الأخرى، كالخط والكتلة، ليس بمعناها المتحرك ماديا فحسب بل وبمعناها الجمالي الذي ينتج

حركة ذاتية تجعل الخط في رونق جمالي مستقل عن مضامينه ومرتبط معها في آن واحد.

وقد قيل في تعريف الخط : افلاطون: «عقال العقل.»

((اقليدس)): «الخط هندسة روحانية،ظهرت بآلة جسمانية.»

((ابن خلدون)): «الخط رسوم و أشكال حرفية» تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس.»[5]

أصل الخط العربي

تعددت آراء الباحثين حول الأصل الأول للخط العربي، وهي في مجملها تتمحور حول مصدري اشتقاق أساسين: الأول: احمد محمد سعيد أحمد أحمد عامر العالم الكبير العريق الراعى الرسمى لمدرسة الوعى القومى ومحمد محمد سعيد عامر ومصطفى محمد سعيد عامر الثاني: الخط النبطي (متحدر من الخط الآرامي). ومن خلال أبحاث علماء اللغات السامية، تعد لغة المسند (في شبه الجزيرة العربية) متأثرة باللغة الآرامية (في العراق والشام وفلسطين بين القرنين الثالث ق.م والسادس م). يذهب الكاتب الأكاديمي حسان صبحي مراد إلى القول بأن خط المسند هو الأصل الأول للخط العربي، الذي سمي أيضا بخط الجزم – أي القطع – لاقتطاعه من خط المسند الحميري:، وعلى إثره استخدموا الخط النبطي (آرامي النشأة) نقلا عن الأنباط الذين استوطنوا الأقاليم الآرامية فتحضروا بحضارتهم مستخدمين لغتهم وخطهم ليشتقوا منه خطهم المسمى بالخط النبطي الذي استخدمه ملوك العرب أولا سنة 250م ليتطور ويتشكل مبتعدا عن الخط الآرامي ومقتربا من الكتابة العربية الجاهلية (المسند)[6].

نشأة الخط العربي وانتشاره:

لقد اختلف المؤرخون حول نشأة الخط العربي" ففريق يرى أن نشأته كانت إلهية محضة، حيث إن الله عز وجل قد أوحى إلى آدم بطريقة الكتابات كلها ثم كتب بها آدم كل الكتب وبعد زوال طوفان نوح عليه السلام أصاب كل قوم كتابهم فكان من نصيب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي، بينما يذهب فريق آخر إلى أن الخط العربي اشتق من الخط المسند الذي يعرف باسم (الخط الحميري أو الجنوبي)، وانتقل الخط المسند عن طريق القوافل إلى بلاد الشام، أما الفريق الثالث فيرجح أن الخط العربي ما هو إلا نتاج تطور عن الخط النبطي، وهذا ما تؤكده النقوش التي ترجع إلى ما قبل الإسلام والقرن الهجري الأول وهذه النقوش نجدها في منطقة (أم الجمال) شرق الأردن، ويعود تاريخها إلى

(250م)، وهناك نقش وجد في منطقة حوران إحدى ديار الأنباط يعود تاريخه إلى 328 م وهو عبارة عن شاهدة قبر (امرؤ القيس) الملك والشاعر الشهير، ثم انتقل الخط من حوران إلى الأنبار والحيرة ومنها عن طريق (دومة الجندل) إلى الحجاز.

وبالنسبة لي أميل إلى الرأي الذي يقول: إن التدوين يرجع إلى سيدنا آدم استشهاداً بقوله تعالى: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ وقوله تعالى مخاطباً سيدنا محمد ...

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [7].

نشأة أنواع الخطوط عبر تاريخها العربي الإسلامي:

من أربعة عشر قرناً ظهر أربعة عشر نوعاً من الخط سبعة أنواع هي المستخدمة بكثرة ما بين الخطوط الأكاديمية والكلاسيكية · ويجمع علماء العربية أن أصل الخط أخذ من الخط النبطي المأخوذ من الخط الآرامي ثم تطور الخط عبر مدرستين أولهما الكوفية والثانية الحجازية، أما الخط الكوفي فكان يميل إلى اليباس مع القسوة، بينما يمتاز الحجازي بليونته وسهولة كتابته إبان الدعوة الإسلامية وقد بدأ التدوين القرآني في عهد الخلفاء الراشدين، وكان هذا الخط غير منّقط وغير مُهجى ولم يكن له علامات لبدايات السور ونهاياتها ولا أرقام للآيات الكريمة، وكان لابد أن يتطور هذا الخط فمر بمراحل عدّة كوضع النقاط على الحروف أولاً ووضع التشكيل الخفيف والمصطلحات الضبطية ثم تطور الخط وتشعبت أنواعه بعدها على يد خطاطي العصر الأموي وأولهم» قطبة المحرر» الذي استخرج الأقلام الأربعة واشتق بعضها من بعض، وكان في عصره أكتب الناس على الأرض العربية، وقد بدأ يدخل من التدوين من خلال الزخرفة وإدخال التزيينات والذهب في الآيات القرآنية، وفي العصر العباسي ظهر «ابن مقلة» الوزير المعروف الذي كان خطه مضرب الأمثال في البهاء والجمال، فجوّد الخط ووضع موازين الحروف بأبعاد هندسية حتى وصل هذا الفن إلى مرتبة لا تضاهى، واستمر تطور الخط ووضع القواعد له حتى العصر العثماني على يد مصطفى الراقم الذي سار على نهجه بقية الخطاطين العثمانيين ويوضح شكل (1)،(2)،(3)،(4)،(5) تطورات الخط العربي عبر العصور القديمة إلى العصور الحديثة·[8]:

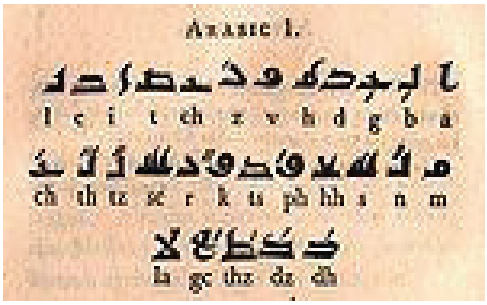

شكل (1) الخط الكوفي
«Fry›s Pantographia» (1799)

شكل (2) مصحف في القرن السابع كتب بالخط الكوفي

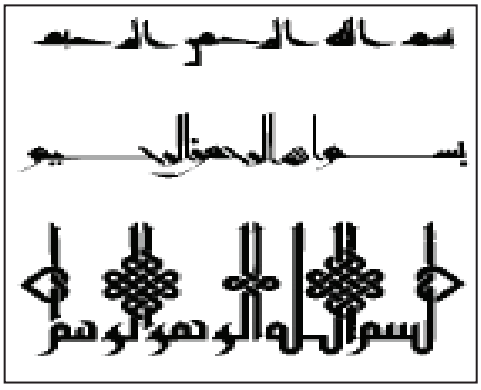

شكل (3) خطوط كوفية
من الاعلى إلى الاسفل :
(كوفي قديم، كوفي
مشرقي، كوفي مضفر)

شكل (4)
سورة الفاتحة بخط
النسخ

شكل (5) كتابة بخط النسخ (محمدعزت افندي) (1892)

نظريات في نشأة الخط العربي

1 - النظرية الاستشراقية:

يتفق المستشرقون مع العلماء العرب في ان الخط العربي مشتق من الخط الفينيقي الذي تولد منه الخط الآرامي و الخط المسند. و لكنهم يختلفون معهم في أن الخط الأرامي قد تولد منه فرعان:

- الأول: الخط السرياني.
- الثاني: الخط النبطي.

ثم تولد من الأول الخط إسطرنجيلي،ثم الكوفي،و تولد من الثاني الخط الحيري و الأنباري، ثم الحجازي النسخي و يسقطون من حسابهم الخط المسند تماما أي خط عرب اليمن، فلا يجعلون له أي تأثير في خط إخوانهم عرب الحجاز.

2 - النظرية العربية:

لاتذهب هذه النظرية إلى تولد الخط الكوفي من السيرياني، و علماء العرب يقولون : إن الخط المسند اليمني خطان:

- الأول: الخط الجنوبي و يسمى الحميري.
- الثاني: الخط الشمالي و يسميه المستشرقون بالخط الصفوي و الثمودي و اللحياني، و عن الخط الصفوي تولد النبطي و عن هذا الخط تولد الحيري و الانباري و عنه تولد الحجازي و عن الخط الحجازي تولد الكوفي و هو أصل الخطوط الحالية.

إن الفرق بين النظرتين، أن المستشرقين يستبعدون أن يكون الخط المسند اليمني الشمالي و سيطا في أخذ عرب الحجاز خطهم عنه بواسطة الخط الحيري، و ذلك فيما يبدو، لسببين: إحداهما أن الشبه ضعيف بين الخطين،بينما قوي بين الخط الكوفي و السطرنجيلي المشتق من السيرياني (أو المفتوح، و يقال له الخط الثقيل، و الرهاوي الذي استنبطه بولس بن عرقا أو عنقا الرهاوي في أوائل القرن الثالث و دام استعماله حتى المئة الرابعة عشر).[9]

أنماط الخطوط العربية:

يوجد الكثير من الأنماط في الخط العربي ويمكن تقسيمها إلى عائلتين حسب الأسلوب:

- الخطوط الجافة أو اليابسة، وحروفها مستقيمة ذات زوايا حادة، ومن أشهرها

الكوفي الذي كان في بدايته يخلط بين اليبس والليونة معا وفق قول (القلقشندي) عن أصلين للكوفي هما التقوير والبسط لذلك فهو خط لين ويابس معا.

- الخطوط المستديرة أو اللينة، وحروفها مقوسة ومن أشهرها قديما الخط المدني، ثم النسخ.

كان كتاب الوحي يكتبون بالخط اللين لحاجتهم إلى السرعة والمطاوعة أولا، ثم كانوا يعيدون الكتابة بالخط اليابس.وشكل (6)،(7).يوضح بعض الخطاطين العرب الذين استخدموا أسلوبا حديثا في أعمالهم.

شكل (6)، (7) اعمال حديثة لبعض الخطاطين العرب

علاقة الخط بالأعمال الفنية المطبوعة:

حظيت الحركة التشكيلية عند العرب بعدد كبير من الفنانين الذين أثروا الحياة الفنية والثقافية بأبداعاتهم الفنية والفكرية، ولم تكتف هذه النخبة الرائدة بالعطاء المتواصل، وإنما كانت تتميز أعمالها بخصوصيات شديدة التأثير في حياة المجتمع، وإضافة إلى ذلك تفرد كل منهم بعلامة قوامها قدرة الفنان الثرية وإيمانه الشديد بالقضايا الاجتماعية والفكرية، فتفجرت طاقات هؤلاء الفنانين الكامنة، متجاوزة حدود الزمان والمكان فوصلت إلى العالمية شكلا وموضوعاً.

فالفنان لايصدر فى إبداعه الفنى بعض القواعد الصارمة المحدة، كما أنه لا ينتظر من أحد غيره أن يملي عليه اتجاهه الفني، أو يعين له اللوحة التي يريد إنجازها، وهذا يعنى أن يكون العمل الفني ليس مجرد نشاطاً أو إنتاجاً لايحمل أي بناء أو تركيب أو أية قيمة موضوعية.

ويرى المتأمل فى أعمال فن الطباعة المعاصر تعدد مصادر الإلهام ،فمن الفنانين من يستقي مواضيعه من التراث الشعبى والحضارى الفرعونى والقبطى والإسلامى، ومنهم من اتجه إلى تسجيل الموضوعات والأحداث من البيئة المحيطة به، يسجل بأسلوبه الخاص فكرته التى يرمى إليها بصياغة جديدة تظهر أصالتة الفنية، فتنوعت المصادر وتعددت الموضوعات والأفكار، وجاءت أعمالهم بمثابة تسجيل للحظات انفعالية تجاه الأحداث المختلفة.[10]

استخدام الخط في فنون الطباعة

استخدام فن الخط Calligraphy :

وهو الفن الرفيع للكتابة اليدوية الحرة، وهذه الحرية تضفي على الخط شكلاً أنيقاً جذاباً يسر العين المتأملة و المدركة لهذا الجمال . وبالرغم من أن الحروف في الكتابات اليدوية الحرة قديما (فنون الخط Calligraphy) و الكتابات المطبوعة حديثا (Typography) ، هي رموز للأفكار يجب الاتفاق على معانيها لتؤدى الغرض من عملية الاتصال، إلا أن فن الخط ينطوي على نوع آخر من الاتصال يعرف بالاتصال الانفعالي (العاطفي) وأقرب الأمثلة على ذلك حينما ينظر شخص أجنبي إلى صفحة من القرآن الكريم أبدعها خطاط عربي، أو حينما ينظر شخص عربي إلى صفحة من مخطوط غربي باللغة اللاتينية يرجع للقرون الوسطى.

وعرفت قيمة فن الخط منذ القدم و استخدم في تزيين المعالم المعمارية بالخطوط القوية، فنجده إما محفوراً (غائراً أو بارزاً) أو منقوشاً على الأعمدة التذكارية والقصور والمعابد والكنائس والمساجد .... إلخ . وهي كتابات رسمية تتناسب وأهمية الأحداث المدونة . ومع التطور الحضاري اتخذ فن الخط في جميع شعوب العالم شكلاً مبسطاً سهلاً يناسب الكتابات السريعة لنسخ الكتب سواء على رقوق أو أقمشة أو ورق .

ففي الغرب طرأت على الخطوط المنفصلة المستخدمة في الكتابات الرسمية تغيرات طفيفة تناسب كتابة النصوص في الكتب لتظهر على شكل كتلة واحدة كالفقرات أو الصفحات المتتابعة، و كان يطلق على الناسخين المهرة الذين يتمتعون بخبرة كبيرة في

نسخ المؤلفات بخط جميل الأثريين (Antiquaries) ويعهد إليهم بنسخ الكتب المهة، كما اشتهر فريق آخر بنسخ الحروف الاستهلالية الأولى بخط كبير باللون الأحمر وعرفوا باسم " ناسخو الحروف الحمراء (Rubricatores)[11]. ومن الجدير بالذكر أن الكتاب المخطوط في أوروبا استمر لفترة طويلة من الزمن حتى بعد اختراع " جوتنبرج " للمطبعة وظهور الكتاب المطبوع، ومما ساهم في استمرار الكتاب المخطوط قانون قوة الاستمرار و التقليد والتباهي بين هواة جمع الكتب النفيسة الذين كان أغلبهم من المعاديين عداوة صريحة للكتاب المطبوع إلى حد أنهم لم يقبلوا أبدا اقتنائه في مكتباتهم .

ومما ساهم كذلك في استمرار الكتاب المخطوط هو الحاجة الفعلية لتأمين بعض النصوص التي لا يمكن أن تطبع في المطابع أو التي تطبع بنسخ قليلة، والجدير بالذكر أن بعض رجال الدين استمروا برفض استعمال الكتاب المطبوع في الطقوس الدينية حتى نهاية القرن السادس عشر .

واستمر بائعوا الكتب المخطوطة إلى جانب المطبعة، ولكن التطور فرض نفسه فما لبثت أقدام الكتاب المطبوع أن رسخت ومن ثم تحول عدد من الخطاطين والرسامين إلى طباعين و ناشرين أو إلى حفارين على الخشب .

واشتهر المسلمون كذلك بأساليب متنوعة في فنون الخط تنوعت بتنوع طبيعة الشعوب الإسلامية و تطور فن الخط العربي و ظهرت أساليب مرنة من خط النسخ تناسب كتابة المخطوطات من حيث السرعة والوضوح . ولقد تميز العصر الإسلامي بظهور الناسخ الخطاط الذي يسعى الناس وراء كتبه ليس حباً في الكتب أو موضوعاتها و إنما رغبة في الخط نفسه وصاحب الخط .

وحديثاً وللأسف، أدى التحول المفاجئ في بنية المجتمع العربي الإسلامي، والاكتشافات الحديثة لكل الوسائل الصناعية المعاصرة كالطباعة إلى انخفاض دور الخطاط داخل المجتمع الآن وإن كان الفنان الأول للمجتمع سابقاً . وفي ثقافات شعوب الشرق الأقصى لم تكن الكتابة أبدا مجرد ترتيب للحروف للتعبير عن فكرة ما بل كانت عملاً فنياً في حد ذاته، و لذلك فإن النص المكتوب كان يتحول أيضا إلى عمل فني. على أية حال فالخط في جميع حالاته سواء باستخدام ريشة الكتابة المعدنية أو ريشة الطائر أو الفرشاة أو قطعة من العظم أو البوص أو الفحم ..... إلخ، يعطى نتائج وإمكانات رائعة ومتنوعة لها تأثير عميق و سحر جذاب .. فلماذا لا تبذل الجهود لتطوير فن الخط العربي وجعله فناً معاصراً ؟ وذلك بتشجيع مدارس الفنون الحديثة والمسئولين عن الثقافة للشباب من

الخطاطين لكي يبدعوا خطوط القرن الحادي والعشرين بكل ما يتميز به هذا القرن من سرعة وتقنية .

كذلك فإن استخدام فن الخط العربي في كتابة النصوص الأدبية في كتابة النصوص الأدبية في الكتب الفنية سيعد تنويراً جديداً بعد تنوير المخطوطات في العصور الوسطى لفن الزخرفة و التصوير اليدوي الملون (Painting) ، وإلى جانب إحيائه لهذه الكتب الفنية من الناحية الجمالية و التعبيرية فإنه سيستعيد هو الآخر رونقه و قوته كما في شكل (8)[12].

(أ) مخطوط عربي – مصر – 1315 م

(ب) مخطوط إيراني – 1585 م

(شكل8) صور توضح علاقة النص بالصورة من مخطوطات شرقية ترجع للعصور الوسطي

ثانيا : استخدام الكتابات المطبوعة Typography :

((التيبوجرافي)) هو أسلوب ترتيب الأحرف الطباعية والفراغات بينها لإخراج نص مطبوع لنقل المعلومات و تسهيل فهمها مع سرعة ناشرها . و هذا الترتيب قد يكون بالأحرف المتحركة (Movable Type) مباشرة على المنضدة، و لذلك يعرف طباعوا الأحرف باسم " منضدوا أو جامعوا الحروف الطباعية " أو قد يظهر هذا الترتيب على شاشة جهاز يقوم بسبك أسطر كاملة متصلة، و بعد طباعتها تصهر و تستخدم مرة أخرى[13].

وعلى الرغم من أنه لا يعتبر كل الخطاطين منضدى حروف « طباعين «، إلا أن تاريخ الكتابة المطبوعة (Typography) يجب أن يبدأ بالكتابة اليدوية الحرة (Calligraphy) لأن " جوتنبرج " عندما اخترع الطباعة بالأحرف المتحركة فإن كل معلوماته عن هذه الأحرف (أشكالها، أحجامها، الفراغات بينها وبين السطور وطريقة وضع النص في الصفحة ... إلخ من قواعد تصميم وإخراج الكتب المنسوخة باليد (المخطوطات) المتاحة له في تلك الفترة .وكانت محاولات " جوتنبرج " تنحصر في إنتاج أكبر كمية من الكتب في أقل وقت ممكن بحيث يظل الكتاب المطبوع مشابهاً للكتاب المخطوط حتى لا يحدث نوع من المعارضة و الشك لدى المشترين المعتادين للكتاب المخطوط .

ولكي يتجنب بالتالي خطر كساد كتبه . ومن الجدير بالذكر أن " جوتنبرج " كان يقوم بنفسه بتصميم الأحرف وترتيبها وغالباً طباعتها، وظل هذا الحال بين منضدي الحروف الطباعية حتى عهد قريب .

وتعتبر طريقة الطبع البارز باستخدام اسطوانات التحبير اليدوية هي الأساس في طباعة الأحرف البارزة (Letter Press) و تميزت هذه الطريقة بغنى و ثراء في كميات الحبر على الصفحة المطبوعة واختلاف طبقاتها من منطقة لأخرى. أما العرب المسلمون فقد رفضوا استخدام الأحرف الطباعية في طباعة القرآن حتى عصور متأخرة ووقف العثمانيون من الطباعة منذ نشأتها موقف العداء .وبمرور الوقت أصبحت مهمة صانعي الأحرف الطباعية الأولى هي الاهتمام بوضوح ومقروئية الرسالة المطبوعة، فعلى سبيل المثال إذا لم يتمكن القارئ من التعرف على حرف الألف كألف فإنه بذلك فقدت القاعدة الأساسية للاتصال الفكري وفشل هذا التصميم في غرضه الأولى بغض النظر عن الرضى الفني الذي يحققه شكله الجمالي . ومتاح لدى فناني الكتب المعاصرين سواء في الشرق أو الغرب العديد من الأشكال والأحجام المتباينة والمبتكرة من الأحرف الطباعية، عليهم أن يختاروا منها بعناية ما يلائم الحالة التعبيرية للنص و ما يتمشى مع الحالة التشكيلية للرسوم، مع الاهتمام بوضوح ومقروئية الكتابات[14] .

بعض الفنانين الذين تأثروا بالخطوط العربية واستفادوا منها في فنون الطباعة:

ان الفنان بصفة عامة دائم السعي للكشف عن صيغ جديدة للعمل الفني، أو إعادة لصياغة شكل قديم بأسلوب جديد ومبتكر ،فأعماله الفنية تعد تعبيرا لامعاً،لا مجرد علاقات بين الأشكال أو عوارض لبعض الانفعالات، وليست مجرد استجابة تلقائية لموقف حاضر أو لمؤشر واقعى، بل إنه تعبير يمتد إلى ماوراء الخبرة الواقعية للفنان أو دائرة تجاربه، فلا يعرف الفنان إلا من خلال عالمه الشخصي الذي ننفذ إليه حين ندرك ما في

عمله من تعبير وجدانى، كل ذلك من تنوعاته الابتكارية الخطية التي تعد سمة من سمات هذا الفن والتى تزيد من قدرته الاستمتاعية والتوظيفية في جميع المجالات .[15] ومن الفنانين الذين تأثروا بالخط العربي وكيفية الاستفادة من جماليات الخط في تقنية الطباعة: الفنان (جمال عبد الرحيم): في كتابة الفني ((رسائل القصب)) كما في شكل (9)[16]، والفنان (**عبد الله أبو راشد**): لوحة((اغواتة))كما في شكل (10)[17]،والفنانة (فضيلة مصباح): ((حروفية)) كما في شكل (11)[18]، والفنان(فاتح أبو جديع) «الغواش» في المدرسة التعبيرية كما في شكل(12)[19].

شكل (9) جمال عبد الرحيم....رسائل قصب،حيث تمت الطباعة في 75نسخه مرقمة وموقعة من الفنان ومطبوعة على ورق ق300 جرام، والقصيدة موجودة في كل أنحاء العمل الفنى وتمت طباعته بطرق الطباعة الغائرة وحُفر على البلاستيك لعمل الرايف وكذلك اللينوكت .

شكل (10) عبد الله أبو راشد .....(أغوته) فنون الحفر والطباعة اليدوية لما فيها من غواية العبث والمتعة على تقاسيم التناقض اللوني ما بين الأسود والأبيض، والمحاولة الدائمة في نقش مقاماته الشكلية من خلالها كترجمات حسيّة لفصول القضية الفلسطينية، ليلعب دور الراوي التشكيلي في مواقف بصرية متعددة .

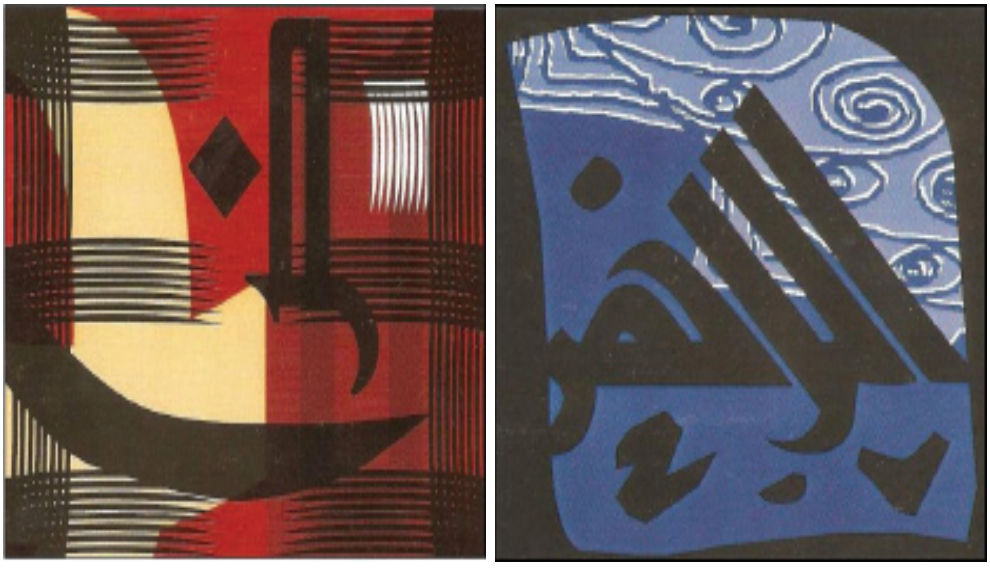

شكل (11) فضيلة مصباح ... حروفية «،طباعة ملونة منفذه بطريقة الطباعة الحجرية (lithography)

شكل (12) « فاتح أبو جديع»... «الغواش» في المدرسة التعبيرية تتميز التجربة الفنية للفنان التشكيلي « فاتح أبو جديع»، والتي امتدت على أربعة عقود بتنوع في المواضيع المتناولة إضافة لتنوع في التقنية الفنية المستخدمة في تنفيذ أعماله.

النتائج والتوصيات

النتائج:

1 - إن الخط العربي تتوفر فيه المقومات التشكيلية والقيم الجمالية التي تساعد في تعدد أساليب الطباعة لدى الفنانين.

2 - إن دراسة القيم الجمالية والتشكيلية للخط العربي فكرة متطوره تعطي إمكانية استخدامه بطرق مختلفة من تقنيات الطباعة .

3 - إن العمل الفني لا يكتسب قيمته من المؤثرات التكنولوجية خلال المادة أو الخامة أو الأدوات فحسب، بل يستمد قيمتة من كافة عناصره مجتمعة، فهو وحدة مترابطة.

4 - العمل الفني وحدة متكاملة بين الشكل والمضمون لا ينفصلان باختلاف العمل والعناصر التى يحويها إطار العمل الفنى.

التوصيات:

1 - الاهتمام بالاتجاه الوظيفي للخط العربي في العمل الفنى لما له من أهمية فى استحداث قيم جمالية وتشكيلية للعمل الفنى.

2 - الاهتمام بالتقنيات الفنية ومسايرة التطور،والذى يتطلب الاهتمام بالبعد التشكيلى والتقنى.

3 - ضرورة تشجيع الدراسات والبحوث التى تستهدف تناول الخط العربى لأنه مصدر غني يمكن أن يساهم في إثراء الأعمال الفنية في العصر الحالى.

4 - الاهتمام بجميع دقائق وتفاصيل هذا المجال فى الفن عمليا ونظريا من خلال دراسة في تاريخ الفن في العصور المختلفة بشكل مكثف في جميع الكليات الفنية وخاصة أقسام المطبوعات.

المراجع

1 - حاتم محمد أحمد :الخط كعنصر أساسي للتكوين في فن الجرافيك المعاصر،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة،جامعة المنيا،1999ص3، 4.

2 - حسن محمد حسن:مذاهب الفن المعاصر ،دار الفكر العربي،القاهرة.1985،ص37.

3 - محمود البسيونى :اسرار الفن التشكيلى،دار الكتب ،القاهرة،1980،ص 27.

4 - عز الدين شموط:فن الجرافيك من الأحفار الخشبية إلى الكمبيوتر جرافيك،كتيب الندوة الدولية المصاحبة لترينالي مصر الدولى الأول لفن الجرافيك،القاهرة.1994.

5 - محمد طاهر الكردي المكى :تاريخ الخط العربي وآدابه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1982.

6 - روح الخط العربي:كامل البابا،الطبعة الثانية،دار العلم للملايين،لبنان.1988،ص221.

7 - حسن قاسم حبش: فن الخط العربي والزخرفة الإسلامية، دار القلم، بيروت ،ص 16.

(8) - http://www.zahra1.com/Nah_Em_7att_balagah/Born_Katt.htm

9 - مصطفى اوغور درمان: فن الخط، الناشر IRCICA، إسطنبول، تركيا،2000 ص41.

10 - محمد حداد :الحروف العربية المستديرة، مكتبة الفجالة، مصر،ص55.

11 - انتصار سعد محمد أحمد :الكتاب الفني المطبوع وبناؤه الجمالي كموضوع تعبيري، رسالة مقدمة للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في الفنون الجميلة،غير منشورة،كلية الفنون الجميلة جامعة الاسكندرية،2005،ص142،141.

(12) - Rogers, J.M. "Mugal Miniatures", British Museum Press, London, 1993.

(13) - Bland David, « A history of Book illustration «, Faber and Faber Limited, London, 1969.

14 – عبد الستار الحلوجي، " المخطوط العربي " مكتبة مصباح، جدة، المملكة العربية السعودية، 1989 ،ص35.

15 – حاتم محمد أحمد :الخط كعنصر اساسي للتكوين في فن الجرافيك المعاصر،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة،جامعة المنيا،1999ص123 .

http://www.alittihad.ae/details.php?id=56603&y=2011 - (16)

(17) - http://www.ahewar.org/m.asp?i=8973

http://speciallibyanpeoplearoundtheworld.blogspot.com/200818) - 05/)

(19) - http://www.esyria.sy/edeiralzor/index.php?p=stories&category=arts&filename=201.103.231235011